هوامش

تشتهر البادية السورية بأنّها مصدر مهم للكمأة، علماً أنّ البحث عنها خطر وينطوي على مجازفة، على الرغم من الأرباح الممكن تحقيقها من خلال جمعها وبيعها بأسعار مرتفعة

تشتهر البادية السورية بالكمأة التي تُعَدّ نوعاً ثميناً من الفطر (فرانس برس)

الكمأة في سورية

مخاطرة بالحياة لتأمين لقمة العيش

هاتاي ـ **عبد الله البشير**
القامشلي ـ **سلام حسن**

يسلك الباحثون عن الكمأة في شرق سورية طرقات محفوفة بالمخاطر من أجل الحصول على هذا النوع من الفطر الذي يُعَدّ ثميناً، والذي صار مصدر رزق على الرغم من الموت الذي يعترض الباحثين عنه. فالكمأة تنبت في أراضٍ تتضمّن مخلفات حربية وألغاماً أرضية، في وقت إنّ عناصر مسلحة قد تتربّص بهؤلاء الباحثين عن لقمة العيش لسلب ما يجنونه في عملياتهم الشاقة.

ورحلة البحث عن الكمأة، أو «الجما» بحسب ما يسمّيها أبناء البادية، لم تعد نزهة مثلما كانت في السابق عند خروج الشبان في مجموعات للبحث في البادية. وتنبت الكمأة في الأراضي الرملية غير الصالحة للزراعة بعد البرق والرعد، في صحراء دير الزور والبادية، ويتطلّب العثور عليها خبرة إلى جانب معرفة مناطق نموّها، علماً أنّ موسم البحث عنها يبدأ في أواخر شهر يناير/ كانون الثاني ويستمرّ حتى نهاية موسم الأمطار. وتتطلّب رحلة البحث عن الكمأة خبرةً، بحسب ما يفيد عمار الساطي، من أبناء ريف دير الزور الغربي الذي يعمل في جمع الكمأة. ويؤكد الساطي، الذي يقصد مدينة القامشلي من أجل بيع ما يجمعه، لـ«العربي الجديد»: «لديّ خبرة في معرفة أماكن انتشار الكمأة، نتيجة سنين قضيتها في البادية. وثمّة أوقات يكون فيها العثور على الكمأة أمراً شبه مؤكّد». يضيف الساطي أنّ «البحث عن الكمأة يتطلّب تركيزاً كبيراً. وبالتالي يتوجّب على الشخص المعني إبقاء نظره موجّهاً إلى الأرض باستمرار خلال عملية البحث حتى يتمكّن من رؤية الشقوق في الرمال التي تدلّ على وجود كمأة. وبعدها، عليه أن يتفحّص التربة الرملية، ويدخل قضيباً معدنياً لاستخراج ذلك النوع من الفطر». ويخبر الساطي: «بحثت في أماكن كثيرة في بادية دير الزور»، مشيراً إلى أنّ «المطر الغزير كان مفيداً لنا في كثير من الأحيان، إذ إنّ السيول جرفت ألغاماً أرضية فصرنا نراها بوضوح ونتجنّب مخاطرها، بالإضافة إلى أنّ تلك السيول تؤدّي إلى ظهور الكمأة على سطح الأرض». ويتابع: «أحاول العمل في مناطق آمنة قصدتها في السابق، فأنا لا أريد المخاطرة».

البحث عن الكمأة محفوف بالمخاطر

ويفيد الباحثون عن الكمأة الذين تحدّث إليهم «العربي الجديد» بأنّ على الرغم من تعرّض حياتهم للخطر والصعوبات الجمّة التي يواجهونها، فإنّهم يضطرون إلى التوجّه إلى البادية وجمع الكمأة وبيعها لاحقاً في أسواق مدينة القامشلي، من أجل تأمين لقمة العيش لهم ولعائلاتهم. ويبيّن هؤلاء أنّ موسم الكمأة يستمرّ لنحو شهرَين، وأنّ عملية جمعها ليست صعبة جداً إنّما تتطلّب خبرة وصبراً، فالسير خلال البحث عنها يمتدّ لساعات إلى جانب النظر إلى الأرض أمران مرهقان.

يوسف السعدو من هؤلاء الباحثين، يشير لـ«العربي الجديد» إلى أنّ «الحرقة والزبيدي هما نوعا الكمأ اللذان يُصار التركيز عليهما. وثمّة طلب أكبر على الحرقة، علماً أنّه هو أغلى من الزبيدي». ويتحدّث السعدو عن مخاطر جمع الكمأة، لافتاً إلى أنّ «ابن خال لي قُطعت رجله بسبب انفجار لغم خلال بحثه عن الكمأة، وقد صار مضطراً للاستناد إلى عكاز عند تحرّكه. ومع ذلك، ما زال يصرّ على التوجّه إلى البادية وجمع الكمأة. كذلك فإنّ صديقاً لي قُطعت أصابع يده اليمنى، لكنّه مصر على جمع الكمأة بيده اليسرى».

وينصح السعدو بعدم المغامرة خلال البحث عن الكمأة، شارحاً أنّ «المنطقة في ريف دير الزور خطرة. فقد هلكت هناك عائلات بأكملها، فيما اختفت أخرى، وما زال مصيرها مجهولاً حتى الآن. وثمّة أشخاص ذُبحوا خلال رحلاتهم تلك، وآخرون لوحقوا بالدراجات النارية». ولا يخفي أنّه شهد «مناظر مرعبة لجثث» في المسار الذي كان يسلكه. من هنا، يقول: «نصيحتي ألا يتوجّه أحد إلى تلك المناطق لجمع الكمأة»، مبيناً أنّ ذلك «دفعني إلى ترك هذا العمل كلياً».

أما طارق المشعان من قرية أبو حمام، فيخبر «العربي الجديد»: «أعمل في زراعة النخيل. وعندما يحين موسم الكمأة، أتوقّف عن عملي هذا وأتفرّغ لجمعها. فموسم الكمأة محدود ويُقدَّر بنحو شهرَين فيما دخله أكبر بكثير من العمل في النخيل». يضيف: «نذهب في مجموعات تتألّف من عشرة أشخاص أو أقلّ، من الأقارب والأصدقاء، لجمع الكمأة. ونخرج بالسيارة إلى منطقة البحث في ريف دير الزور، تحديداً بادية البشري ومنطقة أبو باجم حيث تنتشر الكمأة بكميات كبيرة». وإذ يؤكد المشعان بدوره أنّ المخاطر كبيرة عند جمع الكمأة، يلفت إلى أنّ «ما يمكن جنيه في الموسم الواحد قد يكون جيداً». ويعود إلى المخاطر، فيحكي عن «قريب لي قطعت رجله هذا العام بسبب انفجار لغم أرضي عندما كان يبحث عن الكمأة. كذلك ثمّة عائلة انفجر لغم بالسيارة التي كان أفرادها يستقلّونها خلال توجّههم لجمع الكمأة». ويشدّد على أنّ «الخطر كبير. ففي منطقة الوادي بريف دير الزور، طوّقت مجموعة مسلّحة ثلاثة من أقاربي، وهدّدتهم بالقتل. لكنّها لم تنفّذ تهديدها، بل جعلتهم يتعرّون وأخذت ثيابهم وسلبتهم كلّ ما يملكونه، بما في ذلك سيارتهم. وقد حسم هؤلاء أمرهم بعدم العودة أبداً إلى هذا العمل». كذلك يفيد المشعان بأنّ «عائلات بأكملها ما زالت مجهولة المصير في المنطقة بريف دير الزور حتى الوقت الراهن»، مشيراً إلى أنّ «اختطاف كلّ أفراد العائلة بمن في ذلك النساء والأطفال أمر خطر».

باختصار

يتطلّب البحث عن الكمأة خبرة وصبراً، علماً أنّ السير لساعات إلى جانب تركيز النظر على الأرض أمران مرهقان

■■■

على الرغم من تعريض حياتهم للخطر يضطر جامعو الكمأة إلى التوجّه صوب البادية من أجل تأمين لقمة العيش لهم ولعائلاتهم

■■■

ثمّة من يرى أنّ الخطر كبير وبالتالي لا يستحق الأمر المغامرة، وإن كان المقابل المالي ضخماً

مغريات كثيرة

من جهته، توقّف عبد القادر المحمد، وهو من أبناء ريف دير الزور، عن جمع الكمأة. يقول لـ«العربي الجديد»: «أعمل في صيد السمك. هذه مهنتي طوال العام، لكنّني، في موسم الكمأة، كنت أنضمّ إلى أقارب وأصدقاء لي للبحث لجمعها. وقبل مدّة، قضى 13 شخصاً في انفجار سيارة، ومنذ ذلك الحين لم أخرج قطّ. الخطر كبير ولا يستحق المغامرة، على الرغم من أنّ المقابل المالي ضخم. ولديّ صديق يصرّ على ذلك، وهو يبحث في الغالب في أماكن خطرة، مبرّراً ذلك بأنّ الفائدة كبيرة رغم الخطر». ويبيّن المحمد أنّ منطقة غرب الفرات خطرة جداً، إذ إنّ الألغام تنتشر فيها إلى جانب وجود عناصر مسلّحة، وبالتالي لا يمكن للمرء أن يطمئنّ على حياته».

ويقرّ المحمد بأنّ «في السابق، كنت أبحث عن الكمأة من دون دراية بالمخاطر. لكنّني توقّفت عن ذلك منذ نحو عامَين»، مشدّداً على أنّ «حياتي أغلى بكثير». ويلفت في هذا الإطار إلى أنّ «المغريات كثيرة»، ولا سيّما وسط غلاء أسعار الكمأة والأرباح التي يمكن جنيها من خلال بيعها، غير أنّه يحذّر الأشخاص من اصطحاب أفراد عائلاتهم معهم خلال بحثهم عن الكمأة، «إذ لا أحد يعلم ما الذي قد يصيبه». ويتابع: «إمّا يُقتَل على يد مسلّحين وإمّا تنفجر به ألغام». تجدر الإشارة إلى أنّ صحيفة الوطن السورية، المقرّبة من النظام السوري، أفادت أخيراً بأنّ أكثر من 110 أشخاص قُتلوا في عمليات جمع الكمأة منذ بداية الموسم الحالي، وذلك بسبب انفجار ألغام ومخلفات حربية. من جهته، أفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان بأنّ نحو 66 مدنياً، من بينهم 13 امرأة وطفل، قُتلوا خلال البحث عن الكمأة بين منتصف شهر فبراير/ شباط ومنتصف مارس/ آذار الماضيَين، علماً أنّ لا بيانات دقيقة تتوفّر بشأن أعداد القتلى من بين الباحثين عن الكمأة.

وأخيراً

أمّهات متطفّلات

رشا عمران

تعرضُ حاليًا منصّة نتفليكس فيلمًا يحمل عنوان «the meddler» أو «المتطفلة» كما سُمّي بالترجمة العربية، والفيلم سيناريو وإخراج الكاتبة الأميركية لوريني سكافاريا، ومن بطولة النجمة سوزان سارندون وإصدار عام 2015؛ يتحدّث الفيلم عن مارني مينيرفيني، وهي سيّدة من نيويورك تجاوزت الستين من عمرها، وفقدت زوجها ولديها ابنة ثلاثينية وحيدة (لوري)، تعمل كاتبة سيناريو وتعيش في لوس أنجليس، فتقرّر مارني الانتقال للعيش في نفسِ المدينة لتكون قريبة من ابنتها الوحيدة التي تعيش مع كلبين بعد أن تخلّت عن فكرة الزواج وتُعاني من الفشل العاطفي، ما يترك أثره على حياتها واستقرارها النفسي؛ يُضاف إلى ذلك اشتياقها إلى والدها الراحل وعدم التعوّد على فكرةِ رحيله. مارني التي تشعر بالوحدة والفراغ بعد رحيل زوجها ولديها عواطف أمومة مبالغ بها، تحاول أن تجعل من الاهتمام بابنتها الوحيدة محور حياتها، فهي تتصل بها عدّة مرّات في اليوم، وترسل لها الرسائل النصيّة وتدخل منزلها بالمفتاح من دون أن تَقرعَ الجرس قبل دخولها، وتتعرّف على أصدقاءِ ابنتها وتعمل على ترتيب مواعيد عاطفية لها كي تنسى حبيبها السابق، وتحاول أن تتدخل حتى في ما يخصّ عملها؛ لكن هذا كلّه يجعل الابنة تشعر كما لو أنّها مُحاصرة، هي المعتادة على العيش وحدها، وعلى الاستقلالية في حياتها، والتصرّف كامرأة وحيدة، ناضجة ومستقلة ومسؤولة عن خياراتها، ما يجعل من الصدام بين الأمّ والابنة أمرًا لا مفرّ منه، حتى إنّ لوري تطلب من والدتها منحها مساحتها الخاصة وعدم التدخل في حياتها الشخصية أو فرضِ نفسها عليها إلا إذا هي احتاجتها؛ ما يجعل مارني تبحث عن بدائل لتفرّغ معها تلك الشحنة العاطفية الكبيرة والفراغ الذي تشعر به، فتحاول مساعدة شباب في سنِ ابنتها تقريبًا، ماديًا ومعنويًا، لإكمال حياتهم، وتتطوّع لخدمةِ المرضى المسنين؛ لكنها في الوقت نفسه، هي دائمًا على أهبة الاستعداد لمساعدة ابنتها التي تطلب منها رعاية الكلبين عند سفرها إلى نيويورك لتصوير حلقة من المسلسل الذي تكتبه.

قد يبدو الفيلم للوهلةِ الأولى فيلمًا بسيطًا يحكي عن علاقة مرتبكة بين أمٍّ وابنتها، خصوصًا لمشاهدٍ لا فكرة لديه عن حالةِ المرأة الستينية التي تعيش وحدها، أو عن فكرةِ العلاقة بين الأم والابنة الوحيدة المستقلة. تقول مُخرجة الفيلم وكاتبته إنّها تحكي قصتها مع والدتها، معاناتهما معًا للوصول إلى صيغةٍ مشتركةٍ لعلاقةٍ صحية بعد أن حكم الظرف أن تعيشا متجاورتين. وفي الحقيقة، وأنا أتابع الفيلم، اكتشفت أنّ صنّاعه يحكون قصتي الحالية مع ابنتي الوحيدة التي انتقلت منذ مدّةٍ قريبةٍ لتعيشَ قربي بعد سنواتٍ طويلةٍ من العيش في قارة أخرى، لم نكن نلتقي خلالها إلّا لأيامٍ قليلة. ابنتي الثلاثينية، التي تعمل (للمصادفة) كاتبةَ سيناريو، تعيش حاليا بالقربِ مني في شقةٍ خاصة بها، لديها قطة تعتني بها بعد أن تخلّت عن فكرة الزواج والإنجاب أيضًا.

> تطفّل الأم على حياة الابنة يجعل العلاقة مرتبكة وغير سوية، وفيها كمية من الضغط النفسي المؤذي للطرفين

كنتُ أفعل معها ما فعلته مارني بطلة الفيلم مع ابنتها، إلى أن طلبت مني، وبقسوةٍ، عدم التدخل في حياتها وعدم الاتصال بها إلا للضرورة وعدم السؤال اليومي عن مجريات عملها وحياتها وعلاقاتها. سأعترف أنّني شعرت بالخذلان، فما أفعله هو محاولة مساعدتها على العيش في بلدٍ جديدٍ اختبرته قبلها بسنواتٍ طويلة، وما أفعله أيضًا هو محاولة تعويض لي ولها عن السنوات الطويلة من العيش منفصلتين تمامًا ومحاولة استعادة الأمومة التي كنت قد ركنتها جانبًا لسنوات طويلة أيضًا. لكن في وسط هذا تناسيت أنّ ابنتي قد أصبحت امرأة كاملة، لها شخصية مستقلة تمامًا، وأنّها عاشت أكثر من عشر سنوات وحدها في أوروبا حيث الحرية الفردية والاستقلالية التامة حق مقدّس؛ لكن ماذا أفعل بمشاعر الأمومة هذه التي تعتريني؟ وماذا أفعل بالقلق الذي ينتابني حينما يمرّ يوم لا أسمع فيه صوتها؟ تمامًا مثل (مارني) أحاول التطفّل على حياةِ ابنتي بسبب أمومتي الفائضة، لكن هذا التطفّل، إن صحت التسمية، يجعل من علاقتنا معًا علاقة مرتبكة وغير سوية وفيها كمية من الضغطِ النفسي المؤذي لي ولها، وعليّ أنا ضرورة السعي لتغيير ذلك، ليس لأنّني الأكبر سنًّا بل لأنّني أنا فعلًا من اقتحم حياتها واستقلاليتها وتطفّل على حياتها باسم الأمومة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**